هوليوود تسير على هديها لا تحيد عنها في جميع الافلام التي تنتج باسم التاريخ وبالاهدار له . ولانه هو الذي نشر اسطورة معجزة السينما الامريكية وذلك بدوام الزهو والتباهي بالحيل السينمائية التي استعملها مرة ايام السينما الصامتة في «جواد لوب» بكاليفورنيا ومرة ثانية ايام السينما المتكلمة « بابي رواس » بالبحر الاحمر لتصوير بحر الاساطير وهو ينشق بارادة الرب ليفسح طريقا لقوم « موسى » خروجا من مصر ثم وهو يغش فرعون مصر وجنده مع الاصرار على الامتناع عن افشاء سر هذه الحيل وكأنها سر الهي لم يوح به الا للمخرج الامريكي .. ولن يوحى به لاحد سواه(٥).

ولكن الدور الرئيسي كان — في حقيقة الامر — من نصيب اقل الثلاثة اتصالا بالفن السابع ، وأقلهم اعلانا عن نفسه ، كان من نصيب هربرت روتشيلد . ولا عجب في هذا لانه من اشهر بيت مال : بيت الروتشيلد الذي يعرف متى وأين يستثمر رأس المال ولاي غاية يكون الاستثمار ، والذي منه قدم البارون دي روتشيلد الدعم المالي للمستعمرات الصهيونية الاولى في فلسطين . وليس صدفة ان كتاب وزير خارجية بريطانيا ارثر جيمس بلفور المؤرخ ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧ والذي اصطلح على تسميته « بوعد بلفور » قد وجه الى اللورد والتر روتشيلد عميد فرع بيت المال المذكور في انجلترا ولم يوجه الى شخص اخر .

غير ان الصدفة شاءت ان تجري احداث قضية « دريفوس » التي اتخذت منها الصهيونية وقودا لازكاء نار الدعوة « للعودة الى أرض الميعاد » خلال عام ١٨٩٥ وهو نفس العام الذي اكتشفت فيه السينما وظهرت أول صور لها وهي تتحرك على شاشة بيضاء لاشية فيها داخل قبو بمقهى كبير بشارع كابوشين بمدينة النور .

وبالنظر الى ان تلك القضية ادت الى انقسام المجتمع الفرنسي الذي لم يكن له من حديث الا عن « دريفوس » سواء بالحق او بالباطل لذلك لم يكن غريبا ان يقع اختيار « جورج ميلييس » المخرج الفرنسي على مأساة هذا الرجل لتكون موضوعا لاول فيلم طويل له(٦). وهو الفيلم الذي اخرجه تحت اسم « دريفوس » خلال عام ١٨٩٩ اي بعد ثلاثة اعوام من تأليف تيودور هرتزل لكتابه « الدولة اليهودية » وقبل ثلاثة اعوام من تأليفه لكتابه الثاني « الارض القديمة الجديدة » .

وأغلب الظن ان النجاح الذي حازه فيلم جورج ميلييس عن « دريفوس » قد نبه قادة الحركة الصهيونية ودعاتها — ومنذ وقت مبكر — الى اهمية السينما باعتبارها اداة دعاية سريعة وفعالة للفكر الصهيوني .

وكان أول ما ظهر من سينما مباشرة في خدمة الصهيونية فيلم اسمه « حياة اليهود في أرض الميعاد »(٧) ليعقوب بن دوف وهو مخرج صهيوني من اصل روسي استقر به المقام بفلسطين قبل نشوب الحرب العالمية الاولى . وقد أخرج هذا الفيلم خلال عام ١٩١٢ اي في الفترة التي اشتد فيها ساعد الصهيونية بهزيمة ثورة ١٩٠٥ بروسيا القيصرية ، وبدء موجة الخروج من « سجن الشعوب » تلك الموجة التي عرفت باسم « الهجرة الثانية » .

ومن بعد صدور الوعد أصبحت الصهيونية ازاء وضع جديد كل الجدة يتطلب الاسراع بتهجير عدد متزايد من اليهود الى فلسطين لتيسير انشاء الوطن القومي الموعود . وفي سبيل بلوغ هذا الهدف اعتمد دعاة الصهيونية على الاستغلال الدعائي لامرين : أولهما الدين من خلال قصص العهد القديم واساطير الاولين ، والثاني: الطاعون النازي وما يحمله من فكر عنصري معاد للسامية .

ولسنا نتعرض في هذا المقام بالتفصيل لاستغلال دعاة الصهيونية للدين فذلك غير خاف على كل من له علم — ولو قليل — بنشوء الحركة الصهيونية ، وانما ما نريد ان نتعرض له ونقف عنده وقفة يسيرة هو استغلال الصهيونية للدين في السينما .